

الاشتراكية والحرية

إن التساؤل^(١) الذي وجه في هذه الجلسة من المؤتمر حول: أي من الشيين هو تابع للآخر.. القومية أم الاشتراكية؟.. وأيهما يأتي قبل الآخر؟ يشبه مناقشة اللاهوتيين...

يكفي أننا اكتشفنا حقيقة أساسية وأعلنّاها، والتجربة برهنت على أن القومية حقيقة حية، وأنها عندما تُدغم بالاشتراكية تعطي نتائج ثورية هائلة، لم تعطها الاشتراكية عندما كانت منفصلة عن القومية.

وفيما يتعلّق بالتسمية: اشتراكية عربية. لم تكن هناك نظرية خاصة عن الاشتراكية.. هي النظرية العربية، وإنما أردنا من هذه التسمية التأكيد على حقيقة القومية. وهذا شيء أساسي وخطير، وشيء سبقنا فيه الجميع. يجب أن يعرف الحزب هذه الميزة فيه... ولقد كان المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي في سنة ١٩٥٦، أول من اعترف بهذا الخلاف فيه، ويوغوسلافياً عملياً كانت أول من واجهت هذه العقبة في سنة ١٩٤٨ منذ نشوب خلاف بينها وبين الاتحاد السوفياتي في عهد ستالين. ولكن الحزب، حزب البعث أعلن هذه الحقيقة منذ سنة ١٩٤١، لم يأت بها من كتب الفلسفة ولا من الفلسفات النظرية ولكنه استمدّها من الواقع الحي، لأن الحزب الشيوعي كان يحاول أن يجعل من القضية العربية تابعاً لمصلحته، أن يجعل تحرّر مائة مليون عربي من الاستعمار، وتحرّره من التخلف ومن الرجعية أمراً تابعاً لقضية الشيوعية العالمية. ولقد استطعنا أن نحل مشكلة حية، ومشكلة خطيرة في حياة

(١) كلمة ثانية في الجلسة السادسة من جلسات المؤتمر القومي السادس عند بحث باب الاشتراكية في التقرير العقائدي.

أمتنا العربية، وهي اننا استطعنا أن نكون اشتراكيين، واشتراكيين ثوريين وصادقين وأن لانكون تابعين للحزب الشيوعي. إلا أنه بقي فراغ لم يُملأ - تُرك فراغ لكي تعطي التجربة العربية مفهوماً جديداً وعمقاً للاشتراكية. والملاحظة التي أشار إليها الرفيق شبلي ملاحظة جوهرية، وقد أُشير إليها في بعض كتابات الحزب، وهي علاقة الحرية بالاشتراكية. كانت تجارب الدول الاشتراكية وخاصة في الاتحاد السوفياتي أمامنا منذ تأسيس الحزب ثم أعقبتها تجارب الاشتراكية في دول أوروبا الشرقية، وكانت هناك مأساة إنسانية كبيرة في هذه التجربة، ولقد كان شعورنا بأن من واجبنا كجزء من الانسانية، أن نبحث ونفتش ونجرب لنوفق بين الاشتراكية والحرية، حتى لا تكون الاشتراكية على حساب الحرية، وحتى لا تكون سعادة المجموع على حساب حرية وكرامة الفرد، ففي ذلك تناقض غير مقبول. فلا يعقل أن تصل الانسانية الى السعادة، السعادة الانسانية، إذا كانت حرية الانسان وكرامة الانسان ممتهنة.

بقي إذن فراغ، كما قلت، فراغ ليملأه التجربة، وتملؤه العبقرية العربية النضالية باعطاء التفصيلات والشروح التي تربط الحرية بالاشتراكية. وان مجرد ترك هذا الفراغ، مجرد الاشارة الى ضرورة الموضوع من الناحية الانسانية يميز الحزب، حتى لو لم يصل الحزب في كتاباته الى أفكار جديدة في هذا الموضوع. ولكن الاحاح على هذه الناحية يميزه فعلاً.

حتى أنني في مباحثات القاهرة مع عبدالناصر قلت: اننا نحن نقيم للحرية وزناً أكبر وأهم ^{مما يوليه لها} النظام الناصري. ويظهر من بعض المقاطع في «الميثاق الوطني» وفي كتابات بعض الناصريين أن الحرية أو الديمقراطية تأتي نتيجة لتطبيق الاشتراكية، في حين أن الحزب يضع الحرية مع الاشتراكية، وكشيء مستقل. وهذا يفرق في الواقع نظرتنا عن النظرة الماركسية والشيوعية. وهذا لاينفي التفاعل بين الحرية والاشتراكية. بالعكس، أكد الحزب دوماً على هذا التفاعل. . أي أنه عندما نمضي في التطبيق الاشتراكي تتطور الحرية. فالحرية الملازمة للاشتراكية، شيء معترف به، ولكن تبقى الحرية شيئاً مستقلاً، شيئاً قائماً بذاته.

وفي سؤال لأحد الرفاق: هل نقدر أن ننسب الاشتراكية الى القومية؟ هل نقول

الاشتراكية العربية أم الطريق العربي للاشتراكية؟

جواب: أنا أفهم من الاشتراكية العربية الطريق العربي الى الاشتراكية.

١٦ تشرين الأول ١٩٦٣